مجموعة القصص الدينية

باشراف محمد أحمد برانق



١٨

سدرة المنتهى

دار المعارف بمصر

مجموعة القصص الدينية

(١٨)

باشراف
محمد أحمد برانق

سدرة المنتهى

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

١

وَبعْدَ أَنْ رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى فِي السَّماءِ السَّابعَةِ ، صَعِدَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مَا بَعْدَهاَ ، مُتَّجِهاً إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . .

وَسِدْرَةُ الْمُنْتَهَى شَجَرَةُ نَبق عَظِيمَةٌ هَائِلَةٌ ، أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ رَأَيْتَهَا فِي الدُّنْيَا مَلاَيِينَ الْمَرَّاتِ .

وَهِيَ شَجَرَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ مَا يَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَرْوَاحِ ، ثُمَّ يُقْبَضُ مِنْ عِنْدَهاَ ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ مَا يَهْبِطُ مِنْ أَعْلَى فَيُقْبَضُ مِنْهَا . . .

وَقَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهاَ رَأَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهْرًاصَافِياً جَمِيلًا قَدْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِ خِيَامٌ مُرَصَّعَةٌ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ ، وَعَلَى حِفَافَيْهِ طُيُورٌ خُضْرٌ عَلَيْهَا نَضْرَةُ النَّعِيمِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا جِبْرِيلُ ؛ إِنَّ هَذَا الطَّيْرَ لَنَاعِمٌ .

قَالَ جِبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ هَذَا الطَّيْرَ أَنْعَمُ مِنْهُ

ثمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَتَدْرِى أَىُّ نَهَرٍ هَذَا؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا. قَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا نَهَرُ الْكَوْثَرِ الَّذِى أَعْطَاكَ اللهُ إِيَّاهُ . . .

وَسَرَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرْفَهُ فِى هَذَا النَّهَرِ، فَرَآهُ يَجْرِى عَلَى رَضْرَاضٍ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُّدِ . . . مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ . . . عَلَيْهِ آنِيَةٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تِلْكَ الآنِيَةِ إِنَاءً مِنَ الذَّهَبِ، وَاغْتَرَفَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَشَرِبَ فَإِذَا هُوَ أَحْلَى طَعْماً مِنَ الْعَسَلِ، وَأَزْكَى رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ . . .

ثمَّ رَأَى نَهَرًا آخَرَ يُسَمَّى نَهَرَ الرَّحْمَةِ فَاغْتَسَلَ فِيهِ، فَغَفَرَ لَهُ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ؛ ثُمَّ رُفِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْجَنَّةِ فَدَخَلَهَا، فَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ، وَجِبَالُهَا اللُّؤْلُؤُ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ، فَقَالَ لَهَا: لِمَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَة؟ فَقَالَتْ: أَنَا جَارِيَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ . . . فَبَشَّرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا بَعْدَ أَنْ عَادَ مِنْ رِحْلَتِهِ الْمَلَكُوتِيَّةِ الْكُبْرَى.

وَرَأَى الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا أَنْهَارًا مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ،

وَأَنْهَارًا مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارًا مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارًا مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى . . . وَرَأَى رُمَّانَهَا ؛ كُلُّ رُمَّانَةٍ كَالدَّلْوِ مِنْ كِبَرِهَا ، وَرَأَى طَيْرَهَا كَأَنَّهُ الإِبِلُ ، وَرَأَى مِنْ نَعِيمِهَا مَا لَا سَبِيلَ إِلَى وَصْفِهِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

وَخَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْجَنَّةِ ، فَلَقِيَهُ مَلَكٌ ، فَرَحَّبَ بِهِ كَمَا رَحَّبَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَابِسًا لَمْ يَبْتَسِمْ لَهُ كَمَا ابْتَسَمَتِ الْمَلَائِكَةُ ، فَعَجِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ : يَا جِبْرِيلُ ؛ مَنْ هَذَا الْمَلَكُ الَّذِي قَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَلَمْ يَضْحَكْ ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مِنَ الْبِشْرِ مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْهُمْ ..؟!

فَقَالَ جِبْرِيلُ : هَذَا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ . . أَمَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ ضَحِكَ إِلَى أَحَدٍ كَانَ قَبْلَكَ ، أَوْ كَانَ ضَاحِكًا إِلَى أَحَدٍ بَعْدَكَ لَضَحِكَ إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَضْحَكُ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِجِبْرِيلَ : أَلَا تَأْمُرُهُ أَنْ يُرِيَنِي النَّارَ ؟

فَقَالَ جِبْرِيلُ : بَلى .

ثُمَّ نَادَى جِبْرِيلُ مَالِكًا وَقَالَ لَهُ : أَرِ مُحَمَّدًا النَّارَ .

فَكَشَفَ مَالِكٌ عَنِ النَّارِ غِطاءَهَا فَفَارَتْ . . وَارْتَفَعَتْ . . حَتَّى ظَنَّ الرَّسُولُ أَنَّهَا سَتَأْتِى عَلَى كُلِّ مَا يَرَى . . . فِيهَا غَضَبُ اللهِ وَزَجْرُهُ وَنِقْمَتُهُ . . . لَوْ طُرِحَتْ فِيهَا الْحِجَارَةُ وَالْحَدِيدُ لَأَكَلَتْهَا . . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا جِبْرِيلُ ؛ مُرْهُ لِيَرُدَّهَا إِلَى مَكَانِهَا .

فَأَمَرَ جِبْرِيلُ مَالِكًا أَنْ يَرُدَّهَا . . فَقَالَ لَهَا مَالِكٌ : اخْبِي — انْطَفِئِي — فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا الَّذِى خَرَجَتْ مِنْهُ ، وَرَدَّ عَلَيْهَا غِطاءَهَا . . .

وَمَرَّتْ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَقَالَ : لِجِبْرِيل : مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ ؟ قَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا ! كَانَ مِنْ خَبَرِهَا فِى الدُّنْيَا أَنْ سَقَطَ مِنْ يَدِهَا الْمُشْطُ الَّذِى تَمْشُطُ بِهِ شَعْرَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ ،فَمَالَتْ عَلَيْهِ وَأَخَذَتْهُ بِيَدِهَا قَائِلَةً : بِاسْمِ اللهِ . .

فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ : مَنِ اللهُ هَذَا ؟ أَهُوَ أَبِى ؟

قَالَتِ الْمَاشِطَةُ : لَا . . إِنَّه رَبِّى، وَرَبُّكِ، وَرَبُّ أَبِيكِ .

قَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ : أَوَلَكِ رَبٌّ غَيْرُ أَبِى ؟!

قَالَتِ الْمَاشِطَةُ : نَعَمْ .. رَبِّى ،وَرَبُّكِ، وَرَبُّ أَبِيكِ... اللهُ .

وَبَلَغَ الْخَبَرُ فِرْعَوْنَ، فَدَعَاهَا ، فقَالَ لَهَا : أَلَكِ رَبٌّ غَيْرِى ؟!

قَالَتْ: نَعَمْ .. رَبِّى وَرَبُّكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَغَضِبَ فِرْعَوْنُ ، وَأَمَرَ بِنَارٍ عَظِيمَةٍ ، فَأُوقِدَتْ، فَأُلْقِىَ فِيهَا أَوْلَادُهَا مَا عَدَا طِفْلًا رَضِيعاً، فَأَمَرَهَا فِرْعَوْنُ أَنْ تَقْذِفَ بِنَفْسِهَا فِى النَّارِ ، فَتَقَاعَسَتْ قَلِيلًا مِنْ أَجْلِ وَلَدِهَا الرَّضِيعِ، فَنَادَاهَا الرَّضِيعُ قَائِلًا: يَا أُمَّهْ ! قَعِى وَلَا تَقَاعَسِى فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ . . فَانْطَلَقَتْ إِلَى النَّارِ . . فَأَحْرَقَتْهَا . . وَتِلْكَ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ رَائِحَتُهَا فِى الْآخِرَةِ .

ثُمَّ بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، فَإِذَا بِهِ يَرَى جِبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، وَرَأَى رَفْرَفاً أَخْضَرَ قَدْ سَدَّ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَيَرَى السِّدْرَةَ وَقَدْ غَشِيَهَا مِنْ نُورِ الْخَلَّاقِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يُحَيِّرُ اللُّبَّ ،

وَيُدْهِشُ الْعَقْلَ مِنَ الْعَجَبِ وَالْجَمَالِ ، وَإِذَا فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ يَتَنَاثَرُ عَلَيْهَا ، وَإِذَا مَلَائِكَةٌ كَأَمْثَالِ الطَّيْرِ تَحُطُّ عَلَى أَوْرَاقِهَا لِتَنَالَ مِنْ نُورِ اللهِ الَّذِى غَشَّى السِّدْرَةَ . . . .

وَهُنَا قَالَ جِبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ فِى مِثْلِ هٰذَا الْمَقَامِ يُتْرَكُ الْخَلِيلُ إِلَى خَلِيلِهِ ، وَالْحَبِيبُ إِلَى حَبِيبِهِ... إِلَى هُنَا يَنْتَهِى عُرُوجِى ، وَلَوْ تَقَدَّمْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ قِيدَ شَعْرَةٍ لَاحْتَرَقْتُ ، فَتَقَدَّمْ أَنْتَ إِلَى حَبِيبِكَ وَخَلِيلِكَ ، فَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ .

ثُمَّ دَفَعَ جِبْرِيلُ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَظَلَّ يَسْمُو فِى عَالَمِ النُّورِ الْقُدْسِيِّ حَتَّى صَارَ مِنَ الْخَلَّاقِ سُبْحَانَهُ كَمَا وَصَفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ (قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) .

فَكَلَّمَهُ اللهُ عِنْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ لَهُ : سَلْ . . .

فَقَالَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا . وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا . وَأَعْطَيْتَ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ .

وَأعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الرِّيَاحَ ، وَجَعَلْتَ لَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ .

وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِكَ ، وَأَعَذْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ .

فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : وَقَدِ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا ، وَأَرْسَلْتُكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَشَرَحْتُ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ، وَرَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ ، فَلَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي . . وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ أُمَّةً وَسَطًا ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ الْأَوَّلِينَ ، وَهُمُ الْآخِرِينَ ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وَجَعَلْتُ مِنْ أُمَّتِكَ أَقْوَامًا قُلُوبُهُمْ أَنَاجِيلُهُمْ ، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا ، وَآخِرَهُمْ بَعْثًا . . . وَأَوَّلَهُمْ يُقْضَى لَهُ . . . وَأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي لَمْ يُعْطَهَا

نَبِيٌّ قَبْلَكَ ، وَأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ . وَأَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ ، وَأَعْطَيْتُكَ ثَمَانِيَةَ أَسْهُمٍ : الْإِسْلَامَ ، وَالْهِجْرَةَ ، وَالْجِهَادَ ، وَالصَّلَاةَ ، وَالصَّدَقَةَ ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ . . . وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا خَاتِمًا .

فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : فَضَّلَنِي رَبِّي بِسِتٍّ : أَعْطَانِي فَوَاتِحَ الْكَلَامِ وَخَوَاتِيمَهُ ، وَجَوَامِعَ الْحَدِيثِ ، وَأَرْسَلَنِي إِلَى النَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِيَ الرُّعْبَ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَطَهُورًا . . .

٢

وَفَرَضَ اللهُ سُبْحَانَهُ حِينَئِذٍ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ . . . وَلَمَّا أَوْحَى اللهُ إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى رَجَعَ فَلَقِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ هُوَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ يَا مُحَمَّدُ ؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِخَمْسِينَ صَلَاةً .

قَالَ مُوسَى : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ . فَقَدْ لَقِيتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ شِدَّةً . . .

فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : بِكَمْ أُمِرْتَ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِأَرْبَعِينَ . قَالَ مُوسَى : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَدْ لَقِيتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ شِدَّةً . . . فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ ، فَوَضَعَ عَنْهُ

عَشْرًا .. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : بِكَمْ أُمِرْتَ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أُمِرْتُ بِثَلَاثِينَ .. فَقَالَ لَهُ مُوسَى : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَدْ لَقِيتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ شِدَّةً . . . فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ ، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا .. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : بِكَمْ أُمِرْتَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أُمِرْتُ بِعِشْرِينَ . . فَقَالَ مُوسَى : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَدْ لَقِيتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ شِدَّةً . . فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ ، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا . . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : بِكَمْ أُمِرْتَ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أُمِرْتُ بِعَشْرٍ . . قَالَ مُوسَى : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَدْ لَقِيتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ شِدَّةً . . . فَرَجَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى رَبِّهِ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ . فَوَضَعَ عَنْهُ خَمْسًا . . . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : بِكَمْ أُمِرْتَ ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أُمِرْتُ بِخَمْسٍ.. قَالَ مُوسَى: اُرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَدْ لَقِيتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ شِدَّةً . . فَقَالَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، فَمَا أَنَا بِرَاجِعٍ إِلَيْهِ . فَسَمِعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُنَادِيًا يَقُولُ : أَمَا إِنَّكَ كَمَا صَبَرْتَ نَفْسَكَ عَلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ فَإِنَّهُنَّ يَجْزِينَ عَنْكَ خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَإِنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . فَرَضِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ الرِّضَا .

٣

ثُمَّ عَادَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى هَبَطَ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا، فَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلَ مِنْهُ، فَرَأَى وَهْجاً وَدُخَاناً وَسَمِعَ أَصْوَاتاً، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟

قَالَ جِبْرِيلُ: هَذِهِ الشَّيَاطِينُ تَحُومُ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ كَيْ لاَ يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَرَأَوُا الْعَجَائِبَ...

وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَوَجَدَ الْأَنْبِيَاءَ مُجْتَمِعِينَ فِيهِ يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ، فَحَيَّاهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَحَيَّوْهُ... ثُمَّ قَامَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ... فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، وَأَعْطَانِي مُلْكاً عَظِيماً، وَجَعَلَنِي أُمَّةً قَانِتاً يُؤْتَمُّ بِي، وَأَنْقَذَنِي مِنَ النَّارِ، وَجَعَلَهَا عَلَيَّ بَرْداً وَسَلاَماً.

وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى كَلَّمَنِي تَكْلِيماً ، وَجَعَلَ هَلَاكَ آلِ فِرْعَوْنَ وَنَجَاةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِى ، وَجَعَلَ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ .

وقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى جَعَلَ لِي مُلْكاً عَظِيماً ، وَعَلَّمَنِي الزَّبُورَ ، وَأَلَانَ لِيَ الْحَدِيدَ ، وَسَخَّرَ لِيَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ، وَأَعْطَانِي الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى سَخَّرَ لِيَ الرِّيَاحَ ، وَسَخَّرَ لِيَ الشَّيَاطِينَ يَعْمَلُونَ لِي مَا شِئْتُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ، وَعَلَّمَنِي مَنْطِقَ الطَّيْرِ ، وَآتَانِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَضْلاً ، وَسَخَّرَ لِي جُنُودَ الشَّيَاطِينِ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَآتَانِي مُلْكاً عَظِيماً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى ، وَجَعَلَ مُلْكِى مُلْكاً طَيِّبًا لَيْسَ فِيهِ حِسَابٌ .

وَقَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى جَعَلَنِي كَلِمَتَهُ ، وَجَعَلَ مَثَلِي كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ :

كُنْ فَيَكُونُ . . . وَعَلَّمَنِي الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ، وَجَعَلَنِي أَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ ، وَجَعَلَنِي أُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ ، وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ، وَرَفَعَنِي ، وَطَهَّرَنِي ، وَأَعَاذَنِي وَأُمِّي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيلٌ . . .

ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : كُلُّكُم أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ ، وَإِنِّي مُثْنٍ عَلَى رَبِّي ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الفُرْقَانَ فِيهِ بَيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطًا ، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الأَوَّلِينَ وَهُمُ الآخِرِينَ ، وَشَرَحَ صَدْرِي ، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي ، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي ، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا - أَيْ خَاتِمًا لِلنُّبُوَّةِ - فَاتِحًا بِالشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِهَذَا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَمَّا حَانَتِ الصَّلاَةُ قَامَ النَّبِيُّونَ لِأَدَائِهَا ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ ،

وَأَخَذَ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَوْقِفِ الإِمَامِ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يُصَلِّيَ بِهِمْ فَصَلَّى بِهِمْ . . . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّ الْغَالِبَ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ أَنَّهَا كَانَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ...
وَ فِي هَذِهِ الْإِمَامَةِ تَشْرِيفٌ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِعْلَاءٌ لِقَدْرِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ .

٤

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَرَكِبَ الْبُرَاقَ وَعَادَ إِلَى مَكَّةَ وَالنَّاسُ نِيَامٌ . . .
فَلَمَّا صَحَتْ مَكَّةُ ، وَعَلَتْ شَمْسُ الضُّحَى ، وَدَبَّتْ فِيهَا الْحَيَاةُ ، مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيُخْبِرَ النَّاسَ بِمَا كَانَ ، فَمَضَى إِلَى مَكَانٍ ، فَجَلَسَ فِيهِ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِهِ ، فَبَصُرَ بِهِ أَبُو جَهْلٍ — وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَسْتَهْزِئُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ — مُسْتَهْزِئًا — : أَرَاكَ مُمْعِنًا فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ ، فَهَلْ حَدَثَ لَكَ الْيَوْمَ شَيْءٌ جَدِيدٌ ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَمَا هُوَ ؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّنِي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ ، أَي انْتَقَلْتُ وَسَافَرْتُ .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ : إِلَى أَيْنَ ؟ !

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

فَفَغَرَ أَبُو جَهْلٍ فَمَهُ مِنَ الدَّهْشَةِ وَقَالَ : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟! قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي ثِقَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ — : نَعَمْ .

كَانَ أَبُو جَهْلٍ يَسْخَرُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ يَقُولُ هُوَ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِ : هٰذَا ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ — يَعْنِي النَّبِيَّ — يَزْعُمُ أَنَّهُ يُكَلَّمُ مِنَ السَّمَاءِ . . . وَكَانُوا قَدْ أَكْثَرُوا مِنْ تَرْدِيدِ هٰذَا الْكَلَامِ حَتَّى فَقَدَ أَثَرَهُ . فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو جَهْلٍ مِنْ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَافَرَ لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ عَادَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى مَكَّةَ فِي اللَّيْلَةِ نَفْسِهَا مَعَ أَنَّهُمْ يَرْحَلُونَ إِلَيْهَا فِي شَهْرٍ وَيَعُودُونَ مِنْهَا فِي شَهْرٍ آخَرَ — لَمَّا سَمِعَ مِنْهُ ذٰلِكَ فَرِحَ لِأَنَّهُ سَيَجِدُ فِي هٰذَا الْكَلَامِ مَادَّةً جَدِيدَةً لِلسُّخْرِيَةِ بِهِ ، وَالتَّشْنِيعِ بَيْنَ النَّاسِ ، لِيَنْصَرِفُوا عَنْهُ ، إِذْ يُخْبِرُ بِمَا لَا تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ . . .

فَرِحَ أَبُو جَهْلٍ بِهٰذَا ، وَأَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ لِيَسْمَعُوا بِأَنْفُسِهِمْ هٰذَا الْكَلَامَ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلٰكِنَّهُ

خَافَ أَنْ يَدْعُوَهُمْ فَيُنْكِرَ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ قَالَ شَيْئًا . فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ إِنْ أَنَا دَعَوْتُ قَوْمَكَ ، أَتُحَدِّثُهُمْ بِمَا حَدَّثْتَنِي ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ .

فَنَادَى أَبُو جَهْلٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ! !

فَانْفَضَّتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي بِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ .

فَقَالُوا : إِلَى أَيْنَ ؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

فَقَالُوا . ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟ !

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَعَمْ .

وَهُنَا ضَجَّ الْقَوْمُ ضَجَّةً عَظِيمَةً يُكَذِّبُونَ وَيَضْرِبُونَ كَفًّا بِكَفٍّ ، وَيَضَعُ بَعْضُهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ عَجَبًا لِهٰذَا الْكَذَّابِ . . . !

وَقَالَ لَهُ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ : وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ كَانَ أَمْرُكَ فِيمَا

مَضَى أَمْرًا هَيِّنًا . أَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ أَمْعَنْتَ فِي الْكَذِبِ بِمَا لَا تُصَدِّقُهُ الْعُقُولُ . . . إِنَّنَا نَضْرِبُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ مُصْعِدِينَ شَهْرًا ، وَمُنْحَدِرِينَ شَهْرًا . تَزْعُمُ أَنَّكَ أَتَيْتَهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ؟ . . . وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَا أُصَدِّقُكَ ، وَمَا كَانَ هٰذَا الَّذِي تَقُولُ قَطُّ ! !

وَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ فِي اسْتِهْزَاءٍ : وَمَاذَا رَأَيْتَ هُنَاكَ حِينَمَا وَصَلْتَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؟ ! فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نُشِرَ لِي رَهْطٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَلَّيْتُ بِهِمْ وَكَلَّمْتُهُمْ .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ — وَهُوَ مُمْعِنٌ فِي اسْتِهْزَائِهِ — : صِفْهُمْ لَنَا ! !

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ لَا يَعْبَأُ بِاسْتِهْزَائِهِمْ : أَمَّا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَفَوْقَ الرَّبْعَةِ ، وَدُونَ الطَّوِيلِ ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ (حَمَّامٍ) كَأَنَّمَا يَتَحَدَّرُ مِنْ لِحْيَتِهِ الْجُمَانُ .

وَمَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُعْتَدِلُ الْقَامَةِ فَهُوَ فِي قَامَتِهِ فَوْقَ الرِّجَالِ الْمُتَوَسِّطِ ، وَدُونَ الطَّوِيلِ ، نَظِيفُ الْوَجْهِ ،

وَالْيَدَيْنِ ، وَاللِّحْيَةِ نَظَافَةً تَامَّةً كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ لِسَاعَتِهِ ، وَكَأَنَّمَا الْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ مِثْلَ حَبِّ الْفِضَّةِ وَاللُّؤْلُؤِ .

وَقَالَ عَنْ مُوسَى : وَأَمَّا مُوسَى فَضَخْمٌ آدَمُ طَوِيلٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ أَزْدِ شَنُوءَةَ . أَىْ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرُ الْجِسْمِ أَسْمَرُ طَوِيلٌ . . . . وَأَزْدُ شَنُوءَةَ قَبِيلَةٌ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ يُعْرَفُ رِجَالُهَا بِضَخَامَةِ الأَجْسَامِ .

وَقَالَ عَنْ إِبْرَهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَوَاللهِ إِنَّهُ لَأَشْبَهُ النَّاسِ بِي خَلْقاً وَخُلُقاً ، لَمْ أَرَ أَحَدًا أَشْبَهَ بِصَاحِبِكُمْ ، وَلَا صَاحِبَكُمْ أَشْبَهَ بِهِ مِنِّي .

وَيُرِيدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ : صَاحِبِكُمْ ، نَفْسَهُ .. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ أَحَدًا يُشْبِهُ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَمْ يَرَ إِبْرَاهِيمَ يُشْبِهُ أَحَدًا مِثْلَمَا رَأَى ذَلِكَ الشَّبَهَ قَائِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ . فَزَادَ ضَجِيجُ النَّاسِ وَصِيَاحُهُمْ وَسُخْرِيَتُهُمْ . . . وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَحْبُوبًا فِي قُرَيْشٍ ، رَفِيعَ الْقَدْرِ بَيْنَهُمْ ، مَسْمُوعَ الْكَلِمَةِ فِيهِمْ ، وَكَانَ مِنْ أَهَمِّ الْعَوَامِلِ الَّتِي تَدْعَمُ كِيَانَ الإِسْلَامِ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ

الْـكُفَّارِ فِي نَفْسِهِ : لَوْ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَقُولُ مَا يَقُولُ الْيَوْمَ لَـكَذَّبَهُ، وَلَانْصَرَفَ عَنْهُ، وَكَفَّ عَنْ مُنَاصَرَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ؛ وَإِذَا انْصَرَفَ عَنْهُ، وَكَفَّ عَنْ مُنَاصَرَتِهِ، انْصَرَفَ الْـكَثِيرُونَ مَعَهُ عَنْ مُحَمَّدٍ، فَيَهُونُ شَأْنُهُ، وَيَضْعُفُ أَمْرُهُ . . . فَجَرَى ذٰلِكَ الرَّجُلُ يَبْحَثُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فِي لَهْفَةٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى وَجَدَهُ فِي أَحَـدِ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ — أَيْ هَلْ لَكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى صَاحِبِكَ لِتَسْمَعَ مَا يَقُولُ الْيَوْمَ ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ. وَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ : يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ أَصْبَحَ بَيْنَنَا ! !

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَ قَدْ قَالَ ذٰلِكَ ؟

قَالَ الرَّجُلُ : إِي وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَقَدْ قَالَ ذَلِكَ ! !

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَـئِنْ كَانَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ فَوَاللّٰهِ لَقَدْ صَدَقَ .

وَهُنَا قَالَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ فِي عَجَبٍ وَدَهْشَةٍ : أَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ

ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ؟

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَعَمْ ؛ إِنِّى لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ . أُصَدِّقُهُ أَنَّ الْخَبَرَ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ فِى سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَار . أَفَلَا أُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ عَجَباً ؟ ! ! !

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَمَنْ مَعَهُ ، وَمَضَوْا إِلَى حَيْثُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْإِسْرَاءِ، وَحَوْلَهُ النَّاسُ يُكَذِّبُونَ وَيَضْحَكُونَ ، وَيَعْجَبُونَ ، فَلَمَّا بَلَغُوهُمْ سَمِعُوا الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ يَقُولُ :

يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنْ كُنْتَ ذَهَبْتَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَدَخَلْتَهُ وَصَلَّيْتَ فِيهِ ، فَلَا بُدَّ أَنَّكَ شَاهَدْتَهُ ، وَعَرَفْتَ مَعَالِمَهُ : مِنْ أَبْوَابٍ وَجُدْرَانٍ وَغَيْرِهَا ، فَصِفْهُ لَنَا . . .

وَاسْتَطْرَدَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ يَقُولُ :

إِنَّنَا نَعْرِفُ أَنَّكَ لَمْ تَذْهَبْ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَإِذَا وَصَفْتَهُ لَنَا الْآنَ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا قَاطِعاً عَلَى أَنَّكَ زُرْتَهُ اللَّيْلَةَ ! ! !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَا أَوْحَىٰ ١٠
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً
أُخْرَىٰ ١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ١٥ إِذْ
يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ١٨

صدق الله العظيم

وَهُنَا أَحَسَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْرَةً شَدِيدَةً تَعْتَرِيهِ ، وَأَنَّ كَرْبًا أَوْ غَمًّا لَا مَثِيلَ لَهُ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ . . . إِنَّه لَمْ يَذْهَبْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَحِينَ ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي إِسْرَائِهِ كَانَ فِي حَالَةٍ قُدْسِيَّةٍ عُلْوِيَّةٍ رَائِعَه شَغَلَتْهُ بِاللهِ وَبِآيَاتِهِ الْكُبْرَى عَنْ تَأَمُّلِ الحِيطَانِ وَالنَّوَافِذِ وَالْأَبْوَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّوَافِهِ . . . لَقَدْ كَانَ مَعَهُ الْبُرَاقُ وَهُوَ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ ، وَكَانَ مَعَهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ مَدْعُوًّا إِلَى حَضْرَةِ الْقُدْسِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ الْإِلٰهِيِّ أَنْ يَشْتَغِلَ ضَمِيرُهُ بِالْمَبَانِي وَمَا عَلَى شَاكِلَتِهَا دُونَ مَاهُوَ مَدْعُوٌّ إِلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَطِيرَةِ وَالْمَشَاهِدِ الْجَلِيلَةِ . . . فَلَمَّا رَأَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عُرُوجِهِ إِلَى السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَمَا بَعْدَهَا مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى — لَمَّا رَأَى أَثْنَاءَ ذَلِكَ مَا رَأَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَأَحْوَالِ الْعُصَاةِ وَالصَّالِحِينَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكُبْرَى ، عَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ — وَوَعْيُهُ كُلُّهُ مُسْتَغْرِقٌ بِنُورِ تِلْكَ الْمَعَارِفِ الْعُلْيَا — يَرَى مَا دُونَهَا غَيْرَ جَدِيرٍ بِالِالْتِفَاتِ ، ذَلِكَ

إِلَى أَنَّهُ حِينَ هَبَطَ مِنْ عُرُوجِهِ ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى كَانَ الْمَسْجِدُ غَاصًّا بِالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ بِالنُّبُوَّةِ ، وَسَبَقُوهُ بِالِانْتِقَالِ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى فَكَانَ اجْتِمَاعُهُ بِهِمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُرَكِّزَ انْتِبَاهَهُ ، وَاهْتِمَامَهُ فِي هَذَا الْحَشْدِ الْعَجِيبِ وَذَلِكَ اللِّقَاءِ الرَّائِعِ . . . ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى أَنَّهُ دَخَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ بِلَيْلٍ وَغَادَرَهُ بِلَيْلٍ . . .

تَوَقَّفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُجِبْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا طَلَبَهُ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيّ ، لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مَا يُجِيبُ بِهِ .

فَلَمَّا رَأَى الْمُعَانِدُونَ تَوَقُّفَهُ ، وَحَيْرَتَهُ ، وَسُكُوتَهُ — هَمُّوا أَنْ يَضِجُّوا عَلَيْهِ بِالتَّكْذِيبِ وَالسُّخْرِيَةِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَعَرَفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ . . . وَكَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ لَا يَشُكُّ فِي صِدْقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ زَارَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ لَا مَحَالَةَ . . فَلَمَّا رَأَى تَوَقُّفَ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ الْإِجَابَةِ ، وَرَأَى الْقَوْمَ يُوشِكُونَ أَنْ يَضِجُّوا بِالسُّخْرِيَةِ وَالتَّكْذِيبِ ، قَالَ

لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صِفْهُ لِي يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنِّي قَدْ جِئْتُهُ .

أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ أَلْسِنَتَهُمْ ، وَأَنْ يُقِيمَ الدَّلِيلَ عَلَى صِدْقِ إِسْرَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . . وَهُنَا حَدَثَتِ الْمُعْجِزَةُ ، وَأَدْرَكَ اللهُ رَسُولَهُ بِفَضْلِهِ ، فَأَزَالَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ مَسَافَاتٍ، وَمِنْ حَوَاجِزَ وَجِبَالٍ وَدُورٍ وَنَحْوِهَا ، وَرَفَعَهُ لِبَصَرِهِ وَبَصِيرَتِهِ، فَظَهَرَ لَهُ جَلِيًّا وَاضِحًا . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَابٌ مِنْهُ فِي مَوْضِعِ كَذَا ، فَصَاحَ أَبُو بَكْرٍ فَرِحًا طَرُوبًا : صَدَقْتَ يَارَسُولَ اللهِ.. أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ . . وَاسْتَمَرَّ رَسُولُ اللهِ يَقُولُ : وَبَابٌ مِنْهُ فِي مَوْضِعِ كَذَا . . فَعَادَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ فِي حَمَاسَةٍ وَابْتِهَاجٍ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ . . . أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ . وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصِفُ لَهُمْ مَعَالِمَهُ وَآيَاتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا دُونَ أَنْ يُخْطِئَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ . . . وَأَبُو بَكْرٍ يَقُولُ لَهُ فِي كُلِّ فِقْرَةٍ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ . . . أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ . . . .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (الصِّدِّيقَ) .

فَلَمَّا سَمِعَ الْمُعَانِدُونَ هَذَا الْوَصْفَ الرَّائِعَ حَبَسُوا الْهَزِيمَةَ

فِى نُفُوسِهِمْ وَلَمْ يَعْتَرِفُوا بِالصِّدْقِ الَّذِى أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ، وَعَمَدُوا إِلَى التَّهْوِيشِ وَالتَّضْلِيلِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا قَوْمُ ! أَلَمْ يُخْبِرْكُمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ أَنَّ هٰذَا الرَّجُلَ سَاحِرٌ . . . وَاللهِ لَقَدْ صَدَقَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ . . . فَإِنَّ مَا سَمِعْنَاهُ الْيَوْمَ مِنْ مُحَمَّدٍ إِنْ هُوَ إِلَّا السِّحْرُ بِعَيْنِهِ .

وَأَسْرَعَ بَعْضُهُمْ يُغَيِّرُ مَجْرَى الْحَدِيثِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنْ كُنْتَ ذَهَبْتَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَقًّا فَإِنَّ لَنَا عِيرًا — أَىْ قَافِلَةً — ذَهَبَتْ بِتِجَارَتِنَا إِلَى الشَّامِ ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنَا أَيْنَ مَكَانُهَا الْآنَ مِنَ الطَّرِيقِ ؟ . . لَقَدْ وَصَفْتَ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَلَعَلَّكَ حَفِظْتَ هٰـــذَا الْوَصْفَ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَشَاهَدَهُ ، فَاذْكُرْ لَنَا الْآنَ أَيْنَ مَكَانُ الْعِيرِ ؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَرَرْتُ بِهٰذِهِ الْعِيرِ بِوَادِى كَذَا وَأَنَا مُتَوَجِّهٌ إِلَى الشَّامِ فَأَنْفَرَهُمْ حِسُّ الدَّابَّةِ — إِنَّ الْبُرَاقَ كَانَ لَهُ فِى سَيْرِهِ حِسٌّ مُخِيفٌ ، فَأَزْعَجَ الْقَوْمَ ، وَجَعَلَ إِبِلَهُمْ تَنْفِرُ — فَشَرَدَ لَهُمْ بَعِيرٌ فَدَلَلْتُهُمْ عَلَى مَكَانِهِ .

فَلَمَّا عَادَتْ هٰذِهِ الْعِيرُ أَخْبَرَتْ بِمَا يُصَدِّقُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَقَالَ لَهُ آخَرُ: وَإِنَّ لَنَا عِيرًا ذَهَبَتْ إِلَى الشَّامِ فَدُلَّنَا عَلَى مَكَانِهَا بِالطَّرِيقِ . . .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَرَرْتُ بِهٰذِهِ الْعِيرِ وَأَنَا قَادِمٌ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، وَفِيهَا جَمَلٌ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ: غِرَارَةٌ سَوْدَاءُ، وَغِرَارَةٌ بَيْضَاءُ، فَلَمَّا حَاذَيْتُهُمْ نَفَرَتِ الْعِيرُ — أَيْ أَنَّهَا ذُعِرَتْ مِنْ حِسِّ الْبُرَاقِ — وَصُرِعَ ذٰلِكَ الْبَعِيرُ وَانْكَسَرَ . . .

فَلَمَّا عَادَتِ الْعِيرُ سَأَلُوهُمْ فَأَخْبَرُوا بِمَا يُصَدِّقُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَمَا زَادُوا عَلَى أَنْ قَالُوا: هٰذَا هُوَ السِّحْرُ.

فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: وَإِنَّ لَنَا عِيرًا، فَأَخْبِرْنَا بِمَكَانِهَا وَمَتَى تَجِيءُ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَأْتِيكُمْ هٰذِهِ الْعِيرُ يَوْمَ كَذَا . . . يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِطَاءٌ مِنَ الصُّوفِ الْأَسْمَرِ وَغِرَارَتَانِ...

فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ لِتَنْظُرَ هَلْ يَصْدُقُ

مُحَمَّدٌ أَوْ لَا يَصْدُقُ ، وَكَادَ النَّهَارُ يَنْتَهِي ، وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ مُتَهَكِّماً :

هَا هُوَ ذَا الْيَوْمُ يَنْتَهِي ، وَلَمْ تَقْدَمِ الْعِيرُ . . . الْيَوْمَ بَطَلَ سِحْرُ مُحَمَّدٍ . . .

وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُتِمَّ كَلِمَتَهُ حَتَّى صَاحَ أَحَدُ الْمُؤْمِنِينَ : اللهُ أَكْبَرُ ، هٰذِهِ طَلَائِعُ الْعِيرِ قَدْ ظَهَرَتْ .

وَقَدِمَتِ الْعِيرُ ، وَفِي طَلِيعَتِهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِطَاءٌ مِنَ الصُّوفِ الْأَسْمَرِ وَغِرَارَتَانِ كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَكِنَّ قُرَيْشًا مَعَ ذٰلِكَ ظَلَّتْ عَلَى ضَلَالِهَا وَتَكْذِيبِهَا . . . أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ — كَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — فَقَدْ زَادَتْهُمْ مُعْجِزَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ إِيمَانًا إِلَى إِيمَانِهِمْ . . . رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ . .

مجموعة القصص الدينية

تتضمن هذه المجموعة قصصاً شائقة ، فيها تنوير للقلب ، ودعوة إلى الحق ، وإيمان بالمبدأ ، واتصال بالله . جرت حوادثها مع رجال غلبت عليهم الروحانية ، وأعلنوا الحق غير مبالين أن يصيبهم ما يصيبهم ، ولو كان فيه تلف نفوسهم : فهى الشجاعة فى إبداء الرأى ، ونصرة الحق ، والأخذ بيد المظلوم ، وهى ثورة على الفساد ، ومحاربة الطغيان ! ثم انتصار الحق والفضيلة والخلق الكريم .

١ – قابيل وهابيل	١١ – عام الفيل
٢ – سبأ	١٢ – زمزم
٣ – ذو القرنين	١٣ – مؤمن آل فرعون
٤ – قارون	١٤ – طالوت وجالوت
٥ – موسى والخضر	١٥ – العزير وحماره
٦ – بقرة بنى إسرائيل	١٦ – شكر النعمة
٧ – أصحاب القرية	١٧ – الإسراء والمعراج
٨ – أهل الكهف	١٨ – سدرة المنتهى
٩ – أصحاب الأخدود	١٩ – بائع الأمراء
١٠ – أصحاب الفيل	٢٠ – جريج العابد

ثمن النسخة ٣ قروش

دار المعارف

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة